"القيم التربوية المتضمنة في ديوان الإمام الشافعي"

د. نعمات شعبان علوان

أستاذ الصحة النفسية المشارك

جامعة الأقصى – غزة – فلسطين

ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة إلى التعرف على أهم القيم التربوية المتضمنة في ديوان الإمام الشافعي رحمهُ الله تعالى، وذلك من خلال دراسة ديوانه الشعري، وتحليل مضمون الأبيات الشعرية، وبناءً على الدراسة والتحليل اتضح للباحث أن الديوان مليء بالقيم التربوية والدينية العديدة غير أن الباحث ركز على مجموعة من القيم الإيجابية المتمثلة في: العلم، حسن الخلق، أدب الكلمة، الدعاء، القناعة، الصفح الجميل، الرضا الجميل، الرضا بالقدر، النصيحة، والصبر. أما القيم السلبية فقد تم التركيز فيها على ثلاثة قيم تمثلت في: الحسد، ارتكاب المعاصي، الشّح.

فقد ركز الإمام الشافعي رضي الله تعالى تركيزاً كبيراً على العلم، وهذه دعوة منه للاهتمام به، والسير على درب الأنبياء والمرسلين.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد..

لقد خص الله عز وجل الأمة المسلمة بالشهادة على الناس، والقيادة لهم، لا بسبب اللون، أو القوم، أو العشيرة والجنس والإقليم، وإنما بسبب ما تؤمن به، وتمتلكه من القيم المعيارية المعصومة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والتي بلا شك تشكل أدوات التصويب والتعديل والتجديد، وتمنح الأمة المكانة الحضارية، وتحتفظ لها بمكانها بالنهوض، واكتشاف مواطن الخلل، وتحديد مواطن القصور، والعمل على معالجتها.

وبذلك يتضح أن"وظيفة الأمة المسلمة، ليست فقط تصويب الحاضر، وتقويمه بقيم الدين، وإنما استشراف الماضي، وإعادة معايرته، والاعتبار به، وحماية للحاضر، وحسن بناء وتقويم المستقبل"(١)

وإذا أردنا أن نحقق ذلك، لا بدّ من تضافر كل المؤسسات التربوية التعليمية، ابتداءً بالمسجد، والمدرسة وانتهاءً بالمجتمع، والعمل الجاد على العودة إلى تراثنا وثقافتنا الأصيلة، التي تركها لنا العلماء الأوائل الأجلاء، حيث تركوا إرثاً ثقافياً وحضارياً كبيراً بحاجة إلى تأصيل ودراسة وتمحيص، على اعتبار أنه منبعاً للقيم، كونه متأثراً بالقرآن والسنة، ولديه القدرة على إحداث فاعلية دينية وثقافية وحضارية للتخلص من الصراعات بأشكالها المتعددة، خاصة وأن القيم الدينية والتربوية لها أهمية عظيمة في بناء شخصية الفرد، وحفظ كيان المجتمع، لأن الشخصية لا يمكن أن تنمو بصورة عفوية

أو تلقائية،"لكنها بحاجة إلى وعي وإرشاد، وتربية وإعداد، وتأجيل تقوم به كل مؤسساتنا الاجتماعية"(٢)

ويعرف الإمام الغزالي القيم بالفضيلة، ويعتبرها بأنها"اعتدال قوى النفس حتى تصدر الأخلاق الجميلة كلها وعدم جنوحها إلى الإفراط أو التفريط، ويرى أن أمهات محاسن الأخلاق هي فضائل: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل أو العدالة"(٣)

أما الإمام لشافعي الذي ولد في غزة عام ١٥٠ هـ، وأرسلته أمه إلى البادية ليتعلم اللغة من أهلها، ويدرس قواعدها في وطنها، فقد عاش في قبيلة هذيل، أفصح العرب وأشعرها حتى بلغ سبع عشرة سنة واكتسب فيها الفصاحة ودرس الشعر، وأنساب العرب، ويقول عنه يونس بن عبد الأعلى:"كان الشافعي إذا أخذ في العربية والبلاغة قلت هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الشعر قلت هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الفقه قلت هو بهذا أعلم"(٤)

عاش الإمام الشافعي أربعاً وخمسين سنة، أثبت أن الوصول إلى القمة لا يرتبط بعدد السنين، ولكن يرتبط بالسعي والكد موصولاً بالفطنة والتنقل طلباً للعمل، له مؤلفات كثيرة بلغت (١١٤) مؤلفاً أشهرها: الأم، والرسالة القديمة، والرسالة الحديثة.

يقول الإمام الشافعي:"من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدرة، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه"(٥)

هذا ما جعل الإمام الشافعي قوي الحجة في كل سكناته وحركاته، في أقواله وأشعاره، فهو لم يتقلب في فنون الشعر كغيره من الشعراء، ولم يتعامل مع الشعر، فاتجه بشعره اتجاها خاصاً ركز فيه على جانب الأخلاق، ودعا من خلاله إلى القيم، وإعلاء شأن الإيمان، وكان شعره مباشراً لحرصه على أن يكون له قيمة إيمانية.

ويتميز شعر الإمام الشافعي بقوة الجملة وسهولتها، وسلاستها، ووضوحها، دونما فلسفة أو غموض، مما كتب لأشعاره البقاء والحفظ على مر السنين، ومن أقواله المشهورة: **كل إنسان يُصبح يطلبه ثمانية** الله تعالى يطلبه بالفرض، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يطلبه بالسنة، والدهر بصروفه، والعيال بقوتهم، والحفظة بما ينطق لسانه، والشيطان بالمعاصي، والنفس بالشهوات، وملك الموت بقبض روحه"(٦).

وعليه فإن الدراسة الحالية تحاول التعرف على أهم القيم التربوية التي تحدث عنها الإمام الشافعي في ديوانه وهي بلا شك كثيرة ومتعددة، لن نستطيع أن نجمعها كاملة، وأن نقدم لها، بل

سنكتفي بأهم القيم ذات الأثر التربوي، والتي تساهم في بناء شخصية الفرد المسلم، علماً بأن ما جاء في ديوان الإمام الشافعي كله دُرر ثمينة تحتاج إلى دراسات وأبحاث أعمق وأكبر.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس التالي:

ما القيم التربوية المتضمنة في ديوان الإمام الشافعي؟.

ينبثق عن التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية التالية:

١- ما القيم الايجابية المتضمنة في ديوان الإمام الشافعي؟.

٢- ما القيم السلبية المتضمنة في ديوان الإمام الشافعي؟.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها:

ركزت على ديوان الإمام الشافعي كاشفة من خلاله أهم القيم التربوية والدينية التي ركز عليها، وذلك من أجل الاستفادة من تراثنا الإسلامي الذي تركه لنا علماء بقدر الإمام الشافعي،"ويوم أن نقدر على تحويل هذه القيم إلى أهداف تربوية موحدة _ يمكننا القول بأننا تخلصنا من الصراع القيمي وقطعنا شوطا في سبيل تأكيد الهوية المتفتحة غير المنغلقة، والإيجابية غير السلبية، والعاقلة لا لمندفعة وراء المنفعة المباشرة، المرتفعة فوق الصراع وما يمثله، مكونة الوعي اللازم عن طريق التربية وتحقيق العدالة بواسع مفهومها"(٧)

القيم التربوية المتضمنة في ديوان الشافعي

شمل ديوان الإمام الشافعي على مجموعة من القيم الكثيرة، غير أن هذا البحث سوف يتناول عدداً من القيم تتمثل في:

أولاً: القيم الإيجابية:

العلم، حسن الخلق، أدب الكلمة، الدعاء، القناعة، الصفح الجميل، الرضا بالقدر، النصيحة، الصبر.

ثانياً: القيم السلبية:

الحسد، ارتكاب المعاصي، الشُح.

أولاً: القيم الإيجابية:

لما كانت القيم في أساسها متضادة ومتنافرة مع بعضها البعض كالخير والشر، والصلاح والفساد، والإيمان والضلال، وجد من الناس من يؤمن بقيمة معينة قد تتصادم مع شخص آخر تمسك

بقيمة مضادة لها، ولذلك فإن النبع السليم للقيم هو الدين، فقد جاء بقيمه السامية لكبح جماح القيم المتنافرة.

ولما كان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى من أولئك العلماء المتمسكين بالقرآن والسنة على الوجه الأكمل، جاءت أشعاره تعبّر عن الثقافة الدينية الواسعة التي يتمتع بها.

إن القيم التربوية الإيجابية عبارة عن:"مجموعة من المبادئ والأحكام التي تعمل كمنطلقات وموجهات لسلوك الإنسان ومرجعيات من خلالها يتم الحكم على الأفكار والأشياء والأشخاص والتصرفات"(٨)

وسوف يقوم الباحث بعرض القيم المشار إليها أعلاه بشيء من العرض والتفصيل للاستفادة منها عملياً وسلوكياً وتربوياً.

١. **العلم:**

وهو عبارة عن تغير شبه دائم في السلوك نتيجة الخبرة.

لذا ركز الإمام الشافعي على العلم والتعلم وآداب العلم، وآداب المتعلم في مواضع كثيرة ومتعددة في ديوانه، وهذه إشارة واضحة إلى أن قيمة العلم من أرفع وأنبل القيم لدى الإمام الشافعي محاولاً التنوع في ذكرها ليؤثر من خلالها على القارئ والسامع، انطلاقاً من قول الله تعالى"**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**"(٩) فاطر،٢٥.

فالعلم نور في الدنيا، ونور في الآخرة، فالمتأمل فيما ذكره الشافعي بشأن العلم، يرى أنه حث على: الصبر، وبذل الجهد، والسفر، والإنفاق في طلب العلم.

ما أروع أن يتحمل الإنسان المشاق في طلب العلم، فيسافر من أجله، فها هو **أبو أيوب الأنصاري** رضي الله عنه يرحل من المدينة إلى **عقبة بن نافع** وهو في مصر ليروي عنه حديثاً، فقَدِمَ مصر ونزل عن راحلته ولم يحل رحلها، فسمع منه الحديث وركب راحلته وقفل إلى المدينة راجعاً. (١٠)

أما الإمام الرازي فيقول: أول ما رحلت أقمت سبع سنين، ومشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، ثم تركت العدد وخرجت من البحرين إلى مصر ماشياً، ثم إلى الرملة ماشياً، ثم إلى طرطوس، ولي عشرون سنة ثم أنشأ قائلاً:

سأضرب في طول البلاد وعرضها لأطلب علماً أو أموت غريباً

فإن تلفت نفسي فلله درها وإن سلمت كان الرجوع قريباً

ولله دّر **يحيى بن معين** خلّف له أبوه ألف ألف درهم، فأنفقها كلها على تحصيل الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه، فقال فيه الشافعي:

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي من وصل غانية وطيب عناق
وصرير أقلامي على صفحاتها أحلى من الدوقاء والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدّفُنها نقرى لألقى الرمل عن أوراق
وتمايلي طرباً لحل عويصة في الدرس أشهى من مدامة ساق
وأبيت سهران الدجى وتبيته نوماً وتبغى بعد ذلك لحاق (١١)

ناهيك عن الفوائد الجمّة التي ينالها الإنسان في سفره لطلب العلم وهي:

تفريج الهموم، واكتساب المعايشة أي كسب المال الوفير والرزق، وعلم، وآداب، وصحبة أصحاب الأخلاق الحميدة.

قال الشافعي:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرّج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد (١٢)

أي قيمة أعلى وأفضل من قيمة العلم، إنها دعوة إلهية في المقام الأول،"**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**"(١٣) هذه دعوة صريحة وواضحة بأن تكون القرأة، وتكون مقرونة باسم الله الذي خلق، ليصبح للعلم فائدة وقيمة واعتبار.

ومما نستفيده هنا أن من أراد أن يسلك طريق العلم كقيمة عُليا يبحث عنها، عليه أن تبقى الله عز وجل، وأن يعمل بالعلم الذي يتعلمه، وإلا سيُصبح كالحمار الذي يحمل أسفاراً، وأن يبتعد عن الآفات، ويصبر على مُرّ التعلم.

قال ابن القرية للحجاج حين سأله عن الآفات: آفة العلماء حب الرئاسة، وآفة الرؤساء ضعف السياسة، وآفة الزهد حديث النفس، وآفة العقل العُجب، وآفة الكامل من الرجال العدم. (١٤)

وقال الشافعي: كانت نهمتي في شيئين: في الرمي وفي طلب العلم، فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من العشرة عشرة، وسكت عن العلم، فقيل: أنت والله في العلم أكثر منك في الرمي. فقال رحمه الله:

اصبر على مر الجفا من معلم فإن رسوب العلم في نفراته
ومن لم يذق مر التعلم ساعة تجرع ذُل الجهل طول حياته
ومن فاته التعلم وقت شبابه فكبر عليه أربعاً لوفاته
وذات الفتى والله بالعلم والتقى إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته(١٥)

هذه دعوة للجميع للتمسك بالعلم والاستزادة منه لأن فيه الرفعة، ورفع الشأن.

٢. حسن الخُلق:

الأخلاق من القيم السامية التي ركز عليها الإمام الشافعي مبيناً أهميتها في حياة الفرد والأسرة والمجتمع، موضحاً كيف تعمل الأخلاق على الحفاظ على إنسانية الإنسان كيف لا وقد امتدح الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم قائلاً"**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**"(١٦)

إن مبادئ الإسلام العظيمة، وأحكامه العادلة من المستحيل أن تؤمن بها أمة من الأمم وتحتضنها وتعتنقها، وتسترخص الموت في سبيل الدفاع عنها، ونشرها بين سائر الأمم ما لم يكن أفراد هذه الأمة على مستوى رفيع من الخُلق الإنساني.

"لذلك كان هدف النبي صلى الله عليه وسلم الأول، وبتوجيه من الله عز وجل تفجير الثورة الأخلاقية، ولعل هذا الهدف السامي النبيل يتبين بجلاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم،"**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**"رواه البخاري في الأدب المفرد(١٧)

ومن خلال ما ورد في ديوان الشافعي نلاحظ أن حسن الخلق يقوم على أربعة أركان وهي:

أ. **الصبر**: الذي يحمل الإنسان على كظم الغيظ وكف الأذى والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة.

ب. **العفة:** تحمل الإنسان على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل.

ت. **الشجاعة:** تساعد الفرد على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم.

ث. **العدل:** يعمل على اعتدال الأخلاق، وتوسطه بين طرفي الإفراط والتفريط.

قال الشافعي:

إذا رمت أن تحيا سليماً من الردى ودينك موفور وعرضك صين

فلا ينطق منك اللسان بسوأة فكلك عورات وللناس ألسن

وعيناك إن أبدت إليك معايباً فدعها وقل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروفٍ وسامح من اعتدى دافع ولكن بالتي هي أحسن (١٨)

٣. الدعاء:

لقد أمرنا الله عز وجل أن ندعوه، ووعدنا أن يستجيب لنا، فقال عز وجل:

"وقال ربكم ادعوني أستجب لكم"(١٩)

أراد الشافعي عندما قال:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري بما ضع القضاء

سهام الليل لا تخطئ ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

أن يعلمنا قيمة عليا وهي: حياء الرب سبحانه وتعالى من عبده عند لجوءه للدعاء والاستغاثة واللجوء لجنب الله عز وجل، ويحذر كل المستهترين والمتكبرين على العباد، من أن سهام الدعاء لا تخيب، وهذا عزاء للنفس الإنسانية بأن الله عز وجل حي كريم، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً.

ومما نتعلمه من الدعاء أنه دواءُ فاعل في علاج القلوب، وذلك من خلال:

أ. أن يكون الدعاء في السحر: قال تعالى:"**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**"(٢٠)

أن من يترك الفراش الدافئ في وقت السحر، ويهجر الزوجة والنوم اللذيذ لحري أن ينال العلاج الفعال الذي يتناسب مع هذا الدواء الثمين.

ب. التذلل والتمسكن إلى الله عز وجل: قال تعالى:"ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين"(٢١) فالباب لا يُفتح إلا للدعاء الذي يرافقه ذل وخضوع وإنكار وخشوع لله تعالى، وإظهار المسكنة والافتقار إليه.

قال ابن عطاء:"ما الشأن وجود الطلب، إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب"(٢٢)

وقال الإمام الشافعي في ديوانه مؤكداً هذا الجانب:

بموقف ذلي دون عزتك العظمى بمخفى سر لا أُحيط به علماً

بإطراق رأسي باعترافي بذلتي بمد يدي أستمطر الجود والرحمى

بأسمائك الحسنى التي بعض وصفها لعزتها يستغرق النثر والنظما

أذقنا شراب الإنس يا من إذا سقى محباً شراباً لا يُضام ولا يظما

ت. **المداومة على الدعاء:** قال تعالى:"**لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ**"(٢٣)

٤. **القناعة:**

هي الرضا بما قسّم الله عز وجل ولو كان قليلاً، وهي عدم التطلّع إلى ما في أيدي الآخرين، وهي علاقة على صدق الإيمان.

فالإنسان القانع يحبه الله ويحبه الناس، حيث تحقق القناعة للإنسان خيراً عظيماً في الدنيا والآخرة، فمن فصائلها أنها:

أ. سبب في البركة باعتبارها كنز لا ينفذ.

ب. طريق للجنة.

ت. عزة للنفس.

ث. سبيل للراحة النفسية.

إذن: هي القناعة لا ترضى بها بدلاً فيها النعيم وفيها راحة البدن

أنظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

وبذلك نرى كيف تمد القناعة صاحبها بيقظة روحية، وبصيرة نافذة، وتحفزه على التأهب للآخرة بالأعمال الصالحة، وتوفير بواعث السعادة فيها.

هذا ما حدده الإمام الشافعي عندما قال: (٢٤)

رأيت القناعة رأس الفتى فصرت بأذيالها ممسك

فلا ذا يراني على بابه ولا ذا يراني به منهمك

فصرت غنيا بلا درهم أمر على الناس شبه الملك

٥. الصفح الجميل:

هو صفح بلا عتاب كما ذكر ابن تيمية رحمه الله.

والصفح الجميل مظهر من مظاهر الصحة النفسية، واستقامتها بما فيه من محبة وألفة وخير وإحسان، وجهاد للنفس على الرفق والتسامي والاستعلاء، وبما فيه من معالجة للعدوان بالصفح الجميل، والرد على الإفراط والتفريط بالاعتدال والاستقامة على الطريق، وبذلك يقول الإمام الشافعي مؤكداً قيمة الصفح الجميل: (٢٦)

يخاطبني السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيباً

يزيد سفاهة فأزيد حلماً كعودٍ زاده الإحراق طيباً

لقد حرص الإسلام على توجيهنا للعفو والصفح الجميل، أي التجاوز عن الأخطاء، وترك العقاب عليها سماحة، ويُسراً، قال تعالى:"**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**"(٢٧)

هذا النبي صلى الله عليه وسلم، هو المثل الأعلى في الصفح والمغفرة والعفو، يأمره الله عز وجل بالعفو واليُسر مع الناس، لذا يجب علينا أن نقتدي بسنته رسولنا صلى الله عليه وسلم صاحب القلب الرحيم."**فالإغضاء عن الضعف البشري، والعطف عليه، والسماحة معه، ليس ضعفاً من الشخص، وإنما هو واجب الكبار تجاه الصغار والضعفاء**"(٢٨)

قال تعالى:**فَاعفُ عنهُمْ واصفَحْ إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**"(٢٩)، وقال تعالى:"**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**"(٣٠)

هذا الأثر للعفو، وهذه المكانة للصفح جعلت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يُعيد النفقة على **مسطح بن أثاثة** بعد أن قطعها عنه يوم انزلق وخاض في حادثة الإفك عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. إنه صنع الكبار، لا يقدر عليه إلا صاحب همة عالية، وقلب واسع رحيم.

٦. **الرضا بالقدر:**

قال تعالى:"**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**"(٣١)

لا يعني الرضا بالقدر ألا يحس الإنسان بالألم والمكاره، بل ألا يعترض على الحكم، وألا يسخطه، فالرضا بالقدر يقلل هم العبد، ويفرغ قلبه من الهم.

وهذه المعاني يؤكدها الإمام الشافعي بقوله: (٣٢)

وما كنت راض من زماني بما ترى ولكنني راض بما حكم الدهر

فإن كانت الأيام خانت عهودنا فإني بها راض لكنها قهر

إن اعتقاد المؤمن أنه يتحرك ضمن دائرة الإرادة الإلهية، يُعطيه شعوراً بالاطمئنان أن أمور الحياة مرتبة من قبل رب العالمين، ومقدرة من لدُن عليم حكيم.

إضافة إلى أن للرضا أهمية في حياة الفرد تتمثل في:

أ. **أن الرضا أساس الدين:** فلا يُسلم الفرد حتى يرضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً.

ب. **الرضا سبب لتذوق طعم الإيمان:** فالرضا رضا ألوهية ورضا ربوبية.

ت. الرضا ثمرة عظيمة لعمل قلبي عظيم وهو التوكل.

إذن الرضا: هو التسليم، وسكون القلب وطمأنينته بأن قضاء الله عز وجل كله عدل وخير.

٧. **النصيحة:**

أساس بناء الأمة، لما لها من شأن عظيم في حياة الفرد والأمة على حدٍ سواء، فهي السياج الواقي من الفرقة والنزاع والخصام، قال صلى الله عليه وسلم"الدين النصيحة ثلاثاً، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعافتهم"رواه مسلم عن تميم الداري.

فالنصيحة"كلمة يعبر بها عن إرادة الخير للمنصوح له، ولا يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غير هذه الكلمة"(٣٣)

يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في النصيحة: (٣٤)

تعمدني بنصحك في انفرادي وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعه

وإن خالفتني وعصيت قولي فلا تجزع إن لم تعط طاعة

يتضح من كلام الإمام الشافعي أن النصيحة لها شروط حتى يتم قبولها، وأنها لا تُسدي في أي وقت، ومن شروط النصيحة:

أ. **الإخلاص لله عز وجل:** لأنها من حق المؤمن على المؤمن، فوجب فيها التجريد عن الهوى والأغراض الشخصية، والنوايا السيئة التي قد تحبط العمل.

ب. **الرفق في النصح:** لأن النصيحة إذا خلت من الرفق أصبحت توبيخاً وتعنيفاً وهذا أمر مرفوض.

ت. **أن تكون على انفراد:** خاصة وأن العديد بل الكثير من الناس يحرجوا من النصيحة أمام الآخرين.

ث. **الحلم بعد النصح:** لأن الناصح قد يواجه من يتجرأ عليه أو يرد عليه نصيحته، فعليه أن يتحلى بالحلم والصبر.

فالنصيحة هي منهج أنبياء الله عز وجل ورسله مع أممهم، وهي مبنية على الشفقة عليهم والحب لهم، قال سيدنا نوح لقومه:"**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**"(٣٥)

وقال صالح عليه السلام لقومه:"يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، ولكن لا تحبون الناصحين"(٣٦)

٩. الصبر

هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، قال تعالى: "**يا أيها الذي آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا لعلكم تفلحون**"(٣١)

فالصبر التزام المؤمن بما يأمره الله فيؤديه كاملاً، وأن يتجنب ما ينهاه عنه، وأن يتقبل بنفس راضية ما يصيبه من مصائب وشدائد، فالمسلم لا يجزع، ولا يحزن لمصائب الدهر ونكباته، قال تعالى:"يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين"(٣٨)

إن قيمة الصبر عالية ورفيعة، وتحتاج إلى شخص لديه العزيمة القوية على التحمل والاقتدار لأن الصبر عند الصدمة الأولى هو الدليل على قوة عزيمة الإنسان.

وللصبر فضائل أهمها:

أن الله عز وجل أعد للصابرين أجراً عظيماً، وثواباً ومغفرة واسعة، قال تعالى:"**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**"(٣٩)

وللصبر أنواع منها:

أ. **الصبر على الطاعات:** فالمؤمن يصبر على العبادات والطاعات لأنها تحتاج إلى مجاهدةِ النفس، وعزيمةٍ قويةٍ لتأديتها في أوقاتها على خير وجه، والمحافظة عليها، قال تعالى:"**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**"(٤٠)

ب. **الصبر على العلم والتعلم:** إن المتعلم يحتاج إلى درجة عالية من الصبر والتحمل والاقتدار، لأنه سيواجه عقبات كثيرة من أجل تحصيل ما يريد، كما جاء مع سيدنا موسى عليه السلام، قال تعالى:قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا"(٤١)

ت. **الصبر على المرض:** وهو الصبر على ابتلاء الله عز وجل للعبد، فإذا صبر كان له جزاء الجنة إن شاء الله، فالمرأة المصابة بالصرع طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم الشفاء، فخيرها إما الدعاء لها بالشفاء، وإما الصبر ولها الجنة، فاختارت الصبر.

ث. **الصبر على ضيق الحياة:** فالمسلم يصبر على ضيق العيش، ولا يشكو همه إلا لله عز وجل، وله في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فكانت عائشة تقول:

"كان يمر الشهران الكاملان دون أن يوقد في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ناراً، وكانوا يعيشون على التمر والماء".

غير أن هناك صبر مذموماً وليس محموداً، وهو الصبر على الذل والمهانة، أو الصبر الذي يؤدي إلى التفريط في الدين والعقيدة والفرائض، قال تعالى:"إن الذين توافهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم، قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا"(٤٢)

لذا اقتضت حكمة الله عز وجل أن تكون حياة البشر على ظهر هذه الأرض مزيجاً من السعادة والشفاء، والفرح والترح، واللذائذ والآلام، فيستحيل أن ترى فيها لذة غير مشوبة بألم، أو صحة لا يكدرها سقم، أو سرور لا ينغصه حزن، أو راحة لا يخالطها تعب، أو اجتماع لا يعقبه فراق.

فقد جمع الإمام الشافعي هذه الأشياء في أبياته المشهورة، قائلاً:

دع الأيام تفعل ما تشاء	وطب نفساً إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي	فما لحوادث الدنيا بقاء
ولكن رجلاً على الأهوال جلداً	وشيمتك السماحة والوفاء

ثانياً: القيم السلبية:

يُقصد بها القيم المغايرة للدين والعادات، وقيم وتقاليد وأعراف المجتمع، بحيث يمارسها الشخص فتصبح سلوكاً مُعتاداً عليه، ويتصف به، ويرفضها المجتمع باعتبارها غير محببةً له.

من هذه القيم:

١. الحسد:

وهو ما يحمل الإنسان من حقد يتمنى من خلاله زوال النعمة عن الآخرين، قال تعالى:"أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة، وآتيناهم ملكاً عظيماً"(٤٣)

وللحسد أنواع:

أ. كراهة النعمة للمحسود، وهذا حسد مذموم.

ب. أن يكره فضل الشخص عليه، فيحب أن يكون مثله أو أفضل، وهذه الغبطة.

أما الأسباب المؤدية للحسد فهي:

أ. العداوة والبغضاء

ب. التعزز والترفع

ت. حب الرئاسة وطلب الجاه لنفسه

ث. حب الدنيا

ج. الكبر

ح. كثرة التطاول على العباد

قال الشافعي: كل العداوة قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك من حسد

دواء الحسد:

يعتبر الحسد من الأمراض القلبية كما ذكر الإمام الغزالي، ولا يمكن مداواته إلا بالعلم والعمل، بحيث يعرف الإنسان أن الحسد ضرر عليه كونه فيه سخط الله عز وجل، ومشاركة للشيطان في الإضرار بالآخرين، فعلى الإنسان أن يُلزم نفسه بالتواضع والإيثار، وحب الناس، وأن يكون أكثر تواضعاً، وحباً لله وليس للدنيا.

يقول الشافعي:

داريت كل الناس لكن حاسدي مدارته عزت وعز منالها

وكيف يداري المرء حاسد نعمة إذا كان لا يرضيه إلا زوالها

٢. ارتكاب المعاصي:

إن الخطر الكامن من وراء ارتكاب الذنوب والمعاصي يتمثل في البُعد عن الله عز وجل، وعن رحمته، مقربة الفرد إلى سخط الله والنار.

وتنقسم الذنوب إلى قسمين: الكبائر والصغائر، والواجب على المسلم أن يترك كل ما نهاه عنه الله عز وجل، والرسول صلى الله عليه وسلم، سواء كانت كبيرة أو صغيرة، لأن للذنوب عواقب وخيمة تتمثل في:

أ. الحرمان من العلم:

لما استعصى على الشافعي بعض الحفظ ذهب إلى شيخه وكيع يشكو إليه فأعطاه وكيع الدواء الشافي النافع، وهو ترك الذنوب. وفي ذلك قال الشافعي:

شكوت إلى وكيعٍ سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نورٌ ونور الله لا يُهدى لعاصي

ب. زوال النعم:

قال علي رضي الله عنه:"ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفع بلاء إلاَّ بتوبة"

وقال الشاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن الذنوب تزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد فرب العباد سريع النقم

ت. الحرمان من الرزق:

فالذنوب تحرم العبد من رزق الله عز وجل، قال تعالى:"ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون"(٤٥)

ث. وحشةٌ وظلمةٌ في القلب:

فالذنوب تجعل وحشة بين العبد وربه، وبين العبد وأهل الخير من الناس، قال ابن عباس:"إن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهناً في الدين، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق، وإن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعةً في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق"(٤٦)

ج. ذهاب الحياء:

إن كثرة الذنوب تؤدي إلى ذهاب الحياء من وجه الفرد وقلبه، واخرج البخاري في صحيحة "**مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا إن لم تستحي فافعل ما شئت**"صحيح البخاري حديث رقم(٣٢٢٤) ومالك في الموطأ رقم (٣٣٩).

لذلك كان سهل يقول: إذا عُمل بالمعاصي والبدع في أرضٍ فاخرجوا منها إلى أرض المطيعين"(٤٧)

فالله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان وأودع فيه العقل، وعلمه طرائق الوصول إلى المنافع والمضار، لذلك عاب على الذين لم يستخدموا عقولهم للوصول للحقيقة، واستمروا في ارتكاب المعاصي حتى طمس الله على قلوبهم. قال تعالى:"أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوائهم"(٤٨)

إن صفة"الختم على القلوب"جاءت نتيجة لاتباع أصحابها الشهوات، وتركهم البرهان والحجة، فاتباع الأهواء والمداومة عليها يُعتبر علاقة تشير إلى قرب إزالة معاني الفهم والإدراك عن القلب"فالقلب غير المطبوع لا يتوقف في فهم المعارف الدينية والحائق الإلهية"(٤٩)

٣. الشُح:

ذم الله عز وجل الشُّح والبُخل في كتابه، وأمرنا أن نتخلص من هذه الآفة لنسد على أنفسنا باباً من أبواب الشيطان، ويقول الإمام الغزالي:

"واعلم أن البُخل سببه حب المال، ولحب المال سببان، إحداهما: حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال، والثاني: أن يحب عين المال"(٤٧)

قال تعالى:"ومن يُوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون"(٤٨)

وقال يحيى بن معاذ"ما في القلب للأسخياء إلا كل حب ولو كانوا فّجارا، وللبخلاء إلا بغض ولو كانوا أبرارا"

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من البخل فيقول:"اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل". أخرجه البخاري في صحيحه رقم(٢٨٢٢) وابن حبان في صحيحه رقم (١٠١٠)

يؤكد الإمام الغزالي (٥٠) على أن علاج البخل والشُّح يتم بالعلم والعمل، أما العلم فهو بمعرفة آفة البخل وفائدة الجود، والعمل يكون بالجود والبذل على سبيل التكلف حتى يصبح الإنفاق صفة ملازمة للنفس، ولا يخلو أحد من شر المال إلاّ بالمحافظة على خمسة وظائف:

أ. أن يعرف مقصود المال وأنه لماذا خُلق؟ ولا يعطيه من همته فوق ما يستحق.

ب. أن يراعي جهة دخل المال فيتجنب الحرام المحض والغالب عليه الحرام.

ت. أن لا يستكثر ولا يستقل المقدار الذي يكسبه.

ث. أن يراعي جهة المخرج ويقتصد في الإنفاق غير مبذر ولا مقتّر

ج. أن يصلح نيته في الأخذ والترك، والإنفاق والإمساك، فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة، ويترك ما يترك زهداً فيه واستحقاراً له.

فعلى الإنسان أن يحرص دائماً على التخلص من البخل والشح، وليكن سخياً حتى يصبح محبوباً عند الله عز وجل، وعند الناس، ولله درّ عمر بن عبد العزيز الذي كان يقول:

"جُعل لكل قوم نهمة (رغبة وشهوة)"وجعلت نهمتي في البذل والعطاء، والله للصلة أحب إليّ من الطعام الطيب على الجوع، ومن الشراب البارد على الظمأ".

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله: (٥١)

وأنطقت الدراهم بعد صمت أناساً بعد ما كانوا سكوتاً

ما عطفوا على أحد بِفضلِ ولا عرفوا لمكرمة ثبوتا

التوصيات:

بعد عرض مجموعة من القيم الإيجابية والسلبية الواردة في ديوان الإمام الشافعي، فإن الباحث يوصي بالتالي:

١. الاهتمام المتزايد بما جاء في ديوان الإمام الشافعي من حيث عرض جميع القيم وتحليلها لأهميتها الكبيرة.

٢. رفع توصية لوزارة التربية والتعليم العالي، لجعل ديوان الإمام الشافعي مقرراً في المدارس.

٣. الاهتمام بقضايا التأصيل الديني في المناهج، مع اعتماد هذا النهج حتى نُعيد لمناهجنا وكتبنا الأهمية والقيمة من جديد.

٤. التركيز على القيم الدينية المتضمنة في ديوان الإمام الشافعي.

المراجع:

القرآن الكريم:

١. أكرم ضياء العمري (١٤١٤هـ): قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، الجزء الأول، كتاب الأمة، سلسلة تصدر عن وزارة الأوقاف من قطر، ص٩.

٢. عبد الرحمن العيسوي (١٩٩٠): دراسات في الشخصية الإسلامية والعربية وأساليب تنميتها، دار النهضة العربية _ القاهرة، ص ١٣.

٣. سامية عبد السلام (١٩٩٢): القيم الأخلاقية _ دراسة نقدية في الفكر الإسلامي والفكر المعاصر، مكتبة دار النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٤. إسماعيل العقباوي (٢٠٠٧): ديوان الإمام الشافعي، الدَّراسة، القاهرة، ص٥.

٥. محمد حسان (٢٠١١): الإمام الشافعي، محاضرة ألقاها في قناة الحقيقة، ثم كتبها على موقع القناة في الانترنت.

٦. الفقيه الإسلامي (٢٠١٢): محمد ابن ادريس الشافعي. www.google.com تحت ملف باسم"ديوان الإمام الشافعي".

٧. محمد أحمد الشريف وآخرون (١٩٩٧): استراتيجية تطوير التربية العربية، تقرير لجنة وضع استراتيجية لتطوير التربية في البلاد العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص ٢٢٣.

٨. محمود الحياري (١٩٩٩): القيم الإسلامية المطلقة والنسبية، مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، جامعة اليرموك، ص٥.
٩. سورة فاطر ٢٨.
١٠. معهد دار الأرقم للدعوة والعلوم الشرعية (٢٠١٠): زاد المتقين، خان يونس ص٢٢١.
١١. إسماعيل العقباوي (٢٠٠٧): مرجع سابق ص١٠١.
١٢. إسماعيل العقباوي (٢٠٠٧): مرجع سابق ص٦٦.
١٣. سورة العلق، آية ١.
١٤. معهد دار الأرقم (٢٠١٠): ص٢٢٦ مرجع سابق.
١٥. إسماعيل العقباوي (٢٠٠٧): مرجع سابق ص٣٦
١٦. سورة القلم آية ٤.
١٧. محمد كامل المحامي (١٩٩٢): الأخلاق في القرآن الكريم، منشورات المكتب العلمي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص ص ١٧-١٨.
الحديث: رواه البخاري في الأدب المفرد رقم ٢٧٣، واحمد في المسند ٢/ ٣١٨، والحاكم في المستدرك رقم ٢/ ٦١٣، وقال صحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٤٥).
١٨. إسماعيل العقباوي (٢٠٠٧): مرجع سابق ص١٥٣.
١٩. سورة غافر آية ٦٠.
٢٠. سورة الذاريات آية ١٨
٢١. سورة الأعراف آية ٥٥
٢٢. معهد دار الأرقم (٢٠١٠): مرجع سابق ص ١٤٥
٢٣. سورة يوسف آية ٧.
٢٤. إسماعيل العقباوي (٢٠٠٧): مرجع سابق ص١٠٩
٢٥. ابن الكنانة (٢٠٠٧): الفرق بين الصفح الجميل والصبر الجميل، مدونات ابن تيمي، ص١.
٢٦. إسماعيل العقباوي (٢٠٠٧): مرجع سابق ص٢٢.
٢٧. سورة الأعراف آية ١٩٩.
٢٨. عثمان جمعة ضميره (٢٠١٠): الصفح الجميل دواء الفرد والمجتمع، ص٣.
٢٩. سورة المائدة ١٣
٣٠. سورة النور ٢٢
٣١. سورة البقرة ٢١٦
٣٢. إسماعيل العقباوي (٢٠٠٧) مرجع سابق ص٦٩
٣٣. إسلام ويب (٢٠٠٣): الدين النصيحة، ص١. www.google.com
٣٤. إسماعيل العقباوي (٢٠٠٧) مرجع سابق ٨٩
٣٥. سورة الأعراف ٦٢
٣٦. سورة الأعراف ١٧٩

٣٧. سورة آل عمران، آية ٢٠٠
٣٨. سورة البقرة ١٥٣
٣٩. سورة البقرة ١٥٥-١٥٧
٤٠. سورة الكهف، آية ٦٩
٤١. سورة النساء، آية ٩٧
٤٢. سورة النساء، آية ٥٤
٤٣. إسماعيل العقباوي (٢٠٠٧): ص٣٦. مرجع سابق
٤٤. سورة الأعراف، آية
٤٥. معهد دار الأرقم (٢٠٠٧): ص٣٤، مرجع سابق
٤٦. الإمام أبي حامد الغزالي (٢٠٠٣): إحياء علوم الدين، مكتبة الصفا، القاهرة، ج٣، ص٢٣٤
٤٧. الألوسي البغدادي: (د.ت): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج٢١، ص١٦.
٤٨. سورة محمد، آية ١٦.
٤٩. محمد حسين الطباطبائي (١٩٧٣): الميزان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط٢، ج ١٨، ص٢٣٦
٥٠. سورة الحشر، آية ٩
٥١. معهد دار الأرقم (٢٠٠٧): ص٧٦، مرجع سابق
٥٢. الإمام أبي حامد الغزالي (٢٠٠٣): مرجع سابق، ص٢٣٥، ج٣
٥٣. إسماعيل العقباوي (٢٠٠٧): مرجع سابق، ص٣٨